محنة الأدب فى مصر

للأستاذ منصور جاب الله

إن محنة الأدب فى مصر إنما تتجلى فى هذه الضائقة التى يكابدها الأدباء ، والأدباء المصريون بوجه خاص ، فلقد أتى على مصر حين من الدهر كانت فيه ملتحدا لأدباء العروبة وملاذا للناطقين بالضاد فى سائر الأقطار

ولقد أينعت شجرة الأدب فى مصر ، وتشابكت أغصانها وتهدلت أفنانها ورفت ظلالها حتى كادت تسع الناس جميعا ، ثم إذا بهذه الشجرة الفينانة تذوى أغصانها وتتزايل ظلالها فإذا نحن من الأدب فى صحراء جرداء !

ومنذ بضعة عشر عاما سألنا شيخا من شيوخ الأدب هو المرحوم السيد مصطفى صادق الرافعى عن سبب تمسكه « بوظيفته » الصغيرة فى محكمة طنطا ، وقلنا له : هلا احترفت الأدب وحده ؟ إذن لجنيت من ورائه الذهب النضار ! وضحك الأديب العظيم وهو يقول : هيهات ذهب ما هنالك ... لو اقتصر عملى على الأدب وحده إذن لمت جوعا ، ولما كان لى هذا الاسم المدوى الذى بطالعك فى الصحف صباح مساء !

ولقد حسبنا الأستاذ الرافعى يومها جانحا إلى الفكاهة ، أو مائلا إلى ناحية المزاح حتى قام على ما يقول من صميم الواقع شهيد وبصرنا بأدباء من الفحول قصروا جهدهم على الأدب فكان الجوع لهم مشربا وأداما

وقلنا مرة لشيخنا الأستاذ عبد العزيز البشرى — رحمه الله — وهو فى أوج شهرته ومجده : إن أمهات الصحف تتراكض خلفك تستكتبك المقال بكذا وكيت ، وعملك الحكومى يحول بينك وبين كثير من وجوه الرأى التى قد لا تأمن حين إبدائها جوانب الزلل ، فإذا أنت تنحيت عن المنصب الحكومى ، أمنت ما كنت تخاف ، وأقبلت عليك جميع الصحف مشتاقة تجرر أذيالها

وأطال الشيخ البشرى الصمت ثم أقبل علينا يقول فى مرارة : يابنى إن الصحافة إنما تقبل على لأننى فى غنى عنها ، فإذا ما احتجت إليها فسوف تزور عنى ازورارا وتنفر منى نفارا . إن الصحافة — مثلها مثل الدنيا — تقبل على من لا يريدها ، وتطوى كشحا عن مريدها !

ووالله لقد صدق صديقنا البشرى فيما قال ! وإن كاتب هذه السطور لم يتعظ بنصح الخريت المجرب فوقع فى المحظور ودفع الثمن باهظا غاليا

وتحرير الخبر أننى حين كنت (موظفا) حكوميا استكتبتنى صحيفتان كانت لهما مكانة وكان لهما قراء ، وكان الأجر الذى أتقاضاه منهما مجتمعتين يفوق أجرى من (الوظيفة) فطوع لى ذلك أن أهجر العمل الحكومى — بإغراء من إحدى الصحيفتين — فهل يعرف القارئ ماذا حدث بعد ذلك ؟

أدركت الجريدة الأولى أنه لم يعد لى عمل حكومى ، وأن ظهرى أصبح غير مسنود ، فحملتنى على ترك العمل بها ، ولم آس على ذلك كثيرا فقد كان الأجر الذى آخذه من الصحيفة الأخرى كافيا ، بيد أنه لم يمض على هجرى الصحيفة الأولى إلا بضعة أشهر حتى بدا للجريدة الأخرى أن تستغنى عن « خدمتى » وكذلك أصبحت فارغا من العمل فى فترة لا تبلغ العام منذ أن استقلت من الوظيفة الحكومية . وأدركت عندئذ مبلغ نصيحة الشيخ عبد العزيز البشرى من الصدق ، وأن الصحافة بالنسبة للأديب إنما هى كالدنيا بالنسبة لرجل الدنيا

وأتلفت اليوم حوالى فأرى جهابذة الأدب أقلامهم معطلة وكان ينبغى أن ينترفوا الذهب من الإناء الذى يضيق دونهم

أكبر من نفعهما »

وقد أتى الإسلام فى ذلك بعلاج ناجع ، علاج يجتث البؤس من أصله ، ويقتلعه من أرومته ، هو نظام « الزكاة » تؤخذ من الغنى فى رضاً من دينه ، وتعطى للفقير فى كرامة من نفسه

« خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها ، وصل عليهم ، إن صلاتك سكن لهم » . « وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون »

الكلام بقية

عبد السلام محمد هارون

ويتسع لصعاليك الصحافة على حد تعبير المرحوم الأستاذ مصطفى الرافعى ، أو هلافيت الصحافة بتعبير الأستاذ العقاد !

ولو كان للأدباء حظ ، أو لو كان للأدب ذاته كيان مادى لاعتمد على هذا الكيان أمثال العقاد وطه حسين وتوفيق الحكيم فإن الأدب الصحيح كان خليقا أن يحمل على متنه هذا الثالوث العظيم ، فلا يحتاج الأول لأن يكون عضوا فى الشيوخ ولا يحتاج الثانى لأن يكون وزيرا ولا يحتاج الأخير لأن يكون مديرا لدار الكتب ،

إن الأدب لم يستطع أن يحمل هؤلاء الأدباء الأفذاذ فى سفينته الجارية ، بله أدباء الدرجة الثانية ، وأدباء الطبقة الثالثة ومن دونهم

والصحافة الآن هى الوسيلة لنشر الأدب ، ذلك لأن الجريدة اليومية أو المجلة الأسبوعية تكون عادة فى متناول العامة لرخص ثمنها ، وليس كذلك الكتاب الذى لا يتداوله فى العادة إلا خاصة المتأدبين ، ولكن الصحافة جنت على الأدب ، أو جنت على « فنيته » كما قال الرافعى ، فلم يعد الأديب هو الذى يوجه القارئ كما كان الأمر من قبل ، وإنما صار القارئ أو صاحب الصحيفة هو الذى يوجه الكاتب الأديب ، فقد أمست الصحف مثل حوانيت البدالين والبزازين ، يقبل عليها « الزبائن » بمقدار مافيها من تزويقات ومظاهر خلابة لا غناء فيها ولا طائل من ورائها ، ذلك لأن قارئ اليوم لا يحب الدسم ولا الطعام المركز ، وإنما هو يقنع بالشطائر الخفيفة وإن كان ضررها على الصحة بليغا ، ونقصد بالصحة صحة العقل والذهن ، ذلك لأن جيل هذه الأيام إنما يعنى بصحة الأجسام ويطرح صحة العقول !

وكذلك انحطت الصحافة بالأدب ، والأديب الناجح هو الذى يجارى الجمهور ويتملق غرائزه ، فإذا عدمت الجريدة هذا النوع من الأدباء فإنها لا تعدم (المخبر) الذى يجئ كل يوم بأبشع أحداث الجنايات ، وأطرف أخبار الطلاق

وإنى لأذكر أن أديبا نابها انتسب إلى إحدى الصحف ، وسمعت أحد الملقنين يقول : إنه لا يصلح لهذا العمل ، فتساءلت لماذا ؟ فقيل لى : لأنه أديب — كذا والله ! — فهتفت : ياقوم أفيكون المقتضى مانعا ؟ ولقد كان الأمر كذلك فى الواقع ، فلم تمض إلا بضعة أشهر حتى استغنت الصحيفة عن الأديب المشهور واستعاضت عنه بشاب أمى لا يحسن القراءة والكتابة ولكنه إخصائى فى أنباء الفضائح والتشهير والتشنيع !

ومنذ أشهر اتصل بى أن أديبا لامع الاسم موفور الكرامة سوف يعين رئيسا لتحرير إحدى الجرائد ، فاستبعدت الخبر قياسا على ما علمته من التضاد بين الأدب والصحافة . وصح حدسى ، فإن أديبنا سئل فى ذلك فأجاب ونعم ما أجاب « إن الصحيفة التى أكون رئيسا لتحريرها لم تخلق بعد » ذلك لأن الصحافة لا تبغى أن يديرها الأدباء ، وإنما تريد أن يكون الأدباء تبعا لها . وصدق حدسى مرة أخرى حين اختارت هذه الجريدة لرياسة تحريرها صعلوكا من صعاليك الصحافة !

* * *

أما بعد ، فإن الأدب فى مصر يعانى اليوم محنة بالغة الشدة . ولست فى هذا متشائما ، ولا أحب أن يشيع الشؤم ، وإنما أريد أن أبصر رعاة العهد الجديد المجيد بحال الأدب الذى هو عماد كل أمة ، فالأدب هو ضرام الثورة وشعارها ، ولو بقيت سوق الأدب على كسادها ، وانصرف الأدباء عن غشيانها ، فقل على الأمة العفاء ثم العفاء !

منصور جاب الله

رفائيل
للأستاذ أحمد حسن الزيات
إحدى روائع القصص العالمى الواقعى
لشاعر فرنسا الخالد
« لامرتين »
ثمنها ٢٥ قرشا عدا أجرة البريد